

قرأت لك :

صراع الحضارات والنظام العالمي المثالي سوء فهم للحاضر **Global Utopias and Clashing Civilization Misunderstanding**

د. يوسف خليفة غراب
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية - جامعة حلوان

**John Gra : Global Utopias and Clashing Civilization
Misunderstanding, International. Affairs , W.B,N.Y,
January, 1998. Vol74 No .1.**

إن هذا الطرح الفكري الذي قدمه جون جراى John Gray عن الاتجاه التفسيري للمؤلف " جون جرايالكس ارباتوف" ، حول الظاهرة الفكرية لصراع الحضارات والنظام العالمي المثالي : سوء فهم للحاضر . قد تناول عدد من المحاور الهامة حول تصارع المفاهيم والتوجهات العالمية . ومحاولة البحث عن نظام مثالي . وقد تمثل ذلك في المحاور التالية :

المحور الأول : الديمقراطية وتصارع المفاهيم :

إن الأنظمة الديمقراطية من شأنها أن تلبي الاحتياجات الإنسانية المتعددة وإن من مهام الأنظمة أن تحقق ذلك بكفاءة لتحقيق مزيد من الإبداعية ، حيث لا توالد لفكر أو إبداع علمي وقيمي دون ديمقراطية حقيقية ، وإن التفاوت في تطبيق الديمقراطية من شأنه ، أن يظهر كثيرا من أخطار التهديد إلا في الأنساق الذي يتنافى فيها الإبداع بكل مقوماته . وكلما اتسعت مساحة الديمقراطية كان العطاء أفضل وأرحب لصالح المجتمع والجماعة .

ويرى المؤلف أن النظام الرأسمالي هو الأمثل لتحقيق الديمقراطية وما يترتب عليها من نتائج إبداعية . وإن كل نظام يخفق في سد هذه الاحتياجات الديمقراطية للإنسان ، يهدر كثيرا من ثروات المجتمع الفعلية ويصبح التخلف واقعا يحتاج لتغييره لسنوات طويلة !! (يرى المعقب أن ذلك بطرح تساؤلا هل الدول غير الرأسمالية لا نصيب لها من الإبداع ، وهل الديمقراطية المتبعة في كثير من الدول تتبع رأسمالية حقيقية ؟ وما هي الرأسمالية وما هي مقوماتها ؟ أليس للفقراء حق في الإبداع ؟)

ويرى "جراي" أن الرأسمالية الليبرالية هي النظام الأمثل الذي ينبغي أن يسود عالميا وهي المقابلة لليوتوبيا UTOPIA المثالية التي لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع بشكل متكامل إلا إذا وصلت الديمقراطية إلى مداها . وإن النظام العالمي الجديد ، يشكل خطورة على الديمقراطية والإبداع ، إن لم يأخذ بالتنوع الثقافي فالتباين والتنوع ضروري وفق أنظمة الثقافات ، وإن فرض نظام سياسي واقتصادي واحد يمثل خطورة ومن ثم يجب على النظام العالمي الجديد أن يتفاعل مع تعددية النظم السياسية ، واختلافاتها الثقافية والفكرية والعقائدية .

إلا أن الصراعات الحضارية ، التي نادى بها " صامويل هانتينجتون" مهددا دول العالم الثالث ، تستهدف الإستقطاب تحت دائرة ثقافة واحدة للهيمنة والسيطرة ، وما يؤكد ذلك قوله بأن دول العالم مدينة للغرب بثقافة التكنولوجيا ومن ثم فإن مقومات التغريب تكمن كمكون أساسي في وجود كياناتها ، ومن ثم فإن التوحد الثقافي قد يحقق مثالية العالم فالدول التي أخذت تكنولوجيا الغرب عليها أن تأخذ بثقافته وتترك ما لديها من ثقافات صنعت تخلفها ، إلا أن النزعة الكامنة خلف ذلك تستهدف السيطرة ، وتحويل العالم لمستعمرة تقاد عن بعد محققة التبعية لسياسة خارجية تفترض إجماعا عالميا على قيم ومبادئ موحدة

أن ذلك بلا شك يعد سياسة خاطئة فلن يكون هناك إجماع بين دول العالم على شكل واحد من المبادئ والثقافة والعقائد والدين .

" إن صراع الحضارات لن يكون هو أساس الصراعات الدولية بل صراع المصالح والسياسات بين الدول بعضها البعض وسوف يصبح التنافس على امتلاك المصادر الطبيعية في العالم والتبادلات التجارية إلى جانب الصراعات العرقية والدينية والثقافية كل هذه الصراعات هي التي سوف تؤدي إلى نشوب نزاعات وحروب بين الدول وليس اختلاف الحضارات . ويقود ذلك لما يلي :

المحور الثاني : الرجوع إلى التاريخ

أن النظام الدولي الجديد ، والأفكار المطروحة حول صراع الحضارات ، ترى أن التاريخ معوق لوحدة الثقافة العالمية ، وأنه ينبغي استبعاده ، ولعل في ذلك معنى خفي لإذابة هوية الشعوب التي تمتلك ثقافات عريقة تكونت مع أرصدة التاريخ ، ومن ثم تتحقق الهيمنة ، للدول الكبرى الفاقدة للتاريخ . والتي لا حضارة لها.

لقد أعلن يوكوياما أن التاريخ قد انتهى ، !! مشيرا إلى سيطرة القوى الكبرى على مقدرات العالم الثاني والثالث ، بينما لم يذكر أن الحروب سوف تتلاشى وأن العالم قد أصبح على حافة النظام الديمقراطي وقد ينحرف ذلك الاتجاه التدميري لأرصدة الحضارات إلى النظام الديكتاتوري الجديد .

وأن كل مؤشرات الفكر العالمي والسياسي تشير إلى "أن نظاما سياسيا واحدا سوف يسود العالم ، وأن الحرب الباردة قد انتهت بانتصار الرأسمالية الديمقراطية ، وأن المنافسة بين الاقتصاد المقيد والاقتصاد الحر - أي اقتصاد السوق - قد انتهت وإن الزمن القادم يطلق عليه (زمن هيمنة الفكر الغربي) وانهيار الأيدولوجيات وكلاسيكيات عصر التنوير والنظريات الاقتصادية

لسميث وريكاريو وفلسفات هيجل وفيرباخ وهؤلاء جميعا انتشرت أفكارهم ونظرياتهم من قلب الحضارة الغربية .

وإن الحرب الباردة المعلنة هي الصراع بين الشرق والغرب من أجل الإذابة التامة لأرصدة الثقافة والتاريخ والأيدلوجيات والعقائد والأديان والفلسفات.

لتحقيق التغريب التام لأيدلوجيات الغرب ولتفكيكاته تجاه الدول النامية. المراد الهيمنة عليها . ونجد أن النظام المثالي الجديد للعالم لم يطرح قضايا السلام الذي ينبغي أن يسود العالم مع ديمقراطيته المزعومة التي يتحرر معها الاقتصاد والسياسة والثقافة ، بلا قيود .

وإنه بسقوط الأيدلوجية الشيوعية المناهضة للديمقراطية ، أصبحت الغلبة والسيادة لأيدلوجيا واحدة وهي الرأسمالية الديمقراطية التي يتزعمها الغرب ويعيش في وهمها الشرق رافع الشعارات الجوفاء المتصارع مع طواحين الهواء .

ويخرج المعقب الطارح لفكر الكتاب على ما سبق بالرفض للأسباب التالية :

- أن النظام الرأسمالي الديمقراطي يحوي في طياته قوى متعارضة.
- أن المؤسسات الديمقراطية بطبيعتها لا تتلاقى مع آليات المجتمع الثقافية والعلمية والتاريخية وبخاصة السوق الحر .
- إن سياسة الديمقراطية تتجنب المخاطرة التي هي جزء لا يتجزأ من الاقتصاد الحر ، والثقافة الحرة والإبداع الحر .
- إن الحكومات التقليدية لا يمكنها أن تحمي مواطنيها من المخاطرة التي تنجم عن ربط اقتصاد الدولة باقتصاد السوق .
- إن تدخل الدولة في ديمقراطية المواطن ينفي وجود الديمقراطية .
- ظهور الحركات المناهضة للبرالية يتطلب وجود مثالية في الديمقراطية.

- إن كل الأنظمة الحاكمة ، تتحدى النظام الديمقراطي وإن الحكومات غير الديمقراطية تفقد القدرة على مواجهة المخاطر .
- إن الحكومات السلطوية وجود قائم تتنافى معه الديمقراطية .
- إن شرعية النظام السياسي تستمد من قدرته على حماية مواطنيه ليس فقط من الحروب بل من كل المخاطر التي تهدد أمنه .وبتلبية مطالب المواطن.
- إن الاقتصاد هو مفتاح الشرعية للتقدم الديمقراطي ونجاح الدولة اقتصاديا يحقق مصداقية الشرعية الديمقراطية .
- كثيرا من دول العالم أمام النظام العالمي الجديد أصبحت ضعيفة أمام آليات التحول لاختلاف فلسفتها عن فلسفة المهيمن وفكره .
- إن ظهور جماعات العنف والعصابات المسلحة هو شكل مناهض لسياسة السلطة المفقدة للديمقراطية .
- ازدهار تعددية الأحزاب يعني فشل حزب الدولة في تحقيق الديمقراطية التي عجزت عنها الحكومة .
- إن ظروف نشأة الديمقراطية والليبرالية في الغرب لم تتفق مع غيرها في كثير من دول العالم وبخاصة الشرق ومصر .

المحور الثالث :

إنه يمكن توظيف أفكار (صمويل هانتينجتون) حول " صراع الحضارات " عندما ترغب القوى الكبرى في تحقيق الديمقراطية في العالم ، وأن تتحقق المبادئ التي يجب على الدول الأخرى أن تتبناها . إذا ما أرادت مساندتها . وإنه ينبغي أن يأخذ العالم بالمناصرة الحقيقية لحقوق الإنسان ، وتدعيم المؤسسات الديمقراطية وتأمينها دون تدخل أو فرض وصاية .

ويجب الحفاظ على ثقافة الشعوب الخاصة ، أما ثقافة المعرفة والمعلومات والتكنولوجيا يمكن أن تحقق وحدة العالم ، إن تخلت الدول الكبرى عن سياسة الهيمنة والتسيد أما الذاتية الثقافية فترتبط بالأديان والعقائد والأيدلوجيات وغيرها وليس من المعقول أن تضع دولة في الاعتبار معتقدات الدين لدولة أخرى ضمن ثقافتها أو الأخذ بها ، أو أن تطبق دينها حيث لا يجوز مطلقاً أن تستورد ديناً آخر وفكراً جديداً يخالف الأيديولوجية التي ارتضتها لنفسها لرسم فلسفتها الخاصة.

لقد آن الأوان إلى أن يغير الغرب نظريته " الغرب وسائر الدول The West and The Rest ولا بد من تقبل الاختلافات لأنه لا يمكن الإجماع على حقيقة واحدة . حيث لا يقود ذلك للابداع والتجدد والتنافسية .

الأبعاد التربوية المستفادة في ضوء ما تقدم :

- وضع سيناريوهات ، وتكتيكات ، وإستراتيجيات لمجابهة استنزاف التاريخ والثقافة كمقوم أساسي للبقاء المصري العربي
- إن للديمقراطية ضوابط ينبغي احترامها والالتزام بها ، وإن للشرق ديمقراطيته وللغرب ديمقراطيته.
- رصد أساليب إذابة الأيدلوجيات التربوية وما يتصل بها من قيم ، ووضع استراتيجيات للحماية .
- ترسيخ قيم الدين والديمقراطية ، والأيدلوجية والثقافة .
- أمن الإنسان أساسي لأمن الإبداع وكلاهما دعامة لتشييد الديمقراطية ، وإن الخلل في أحد الأطراف لا يقيم للديمقراطية دعائم .
- لا وجود للحرية المطلقة والاقتصاد المطلق .
- تضارب الآراء يعني غيبة وعى المهيمن ، والسيطرة ، تعني الحسم الديكتاتوري ومن ثم يصبح ضرورياً ، أن ترفض التربية الآراء

المتصارعة المستنزفة للزمن والطاقة والتي لا تستند إلى أى أسس علمية ومنطقية .

- الديمقراطية تعني تلبية الاحتياجات التربوية حيث يقود ذلك إلى الإبداع -
التفاوت في تطبيق الديمقراطية في التعليم ، يعني نزيف وتضخم الاقتصاد المحقق للديمقراطية ، ويقود ذلك إلى العنف .

- التهديدات التربوية تعني غيبة الديمقراطية التي بموجبها يدافع الثقة والخبراء والعلماء عن إبداعهم الفكري دون ضوابط سياسية أو اقتصادية ضاغطة أو متحكمة أو مهيمنة .

- ليس كل ما يقترحه الغرب من نظم يصلح للشرق ، وما يقترح يكمن خلفه أبعاد ضمنية كامنة ، من شأنها أن تذيب الهوية التربوية وما تحفل بها من قيم .

- إن كل تربية لا تستند إلى أيولوجية فكرية ، تقود للحرية لا جدوى منها .

- لا وجود للحريات المطلقة ، والحرية تعني مزيداً من القيود .
يمكن لقضايا العولمة ، وحوار الحضارات ، أن تتحقق في حالة واحدة إذا أعطت الدول الكبرى كل ما تمتلك للدول النامية وأقصده بذلك العلم والتقنية والخبرة والتعليم وأن تأخذ من الدول النامية الثقافة والحضارة والتاريخ والقيم والأيدولوجيات والعقيدة وأن تكف عن الحروب الباردة والساخنة ومناورات حروب السلام والحروب بالوكالة وفرض السيادة والهيمنة ، وإذا كان ذلك لن يحدث أو يتحقق فإن للنظام العالمي الجديد وحوار الحضارات فخاخ وضعت تحت مسميات العولمة والشراكة والديمقراطية الزائفة وإن ما للشرق للشرق وما للغرب للغرب ، والشرق والغرب لن يلتقيان في دائرة الإنسانيات ولكن يلتقيان في دائرة العلم والمعرفة التي يسمح بها الغرب كنفائات التجارب للشرق ويطلق على ذلك بمعلوماتية الأسطح السفلية .

تبقى كلمة لن نكون إلا إذا أعدنا منظومة وجودنا بصدق من الداخل
وأعلننا كعرب وبخاصة مصر شعار أمة في خطر ؟؟ Nation At Risk ولكن
من يريد أن نكون محليا وعالميا ولا زالت أبواق الشعارات تعلن التحديات
كأعجاز نخل منقر ، جوفاء ، قابلة للاقتلاع مع رياح الغرب القادمة .. لا يغير
الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..